الأحرار بإطاحة النظام الملكي عام ١٩٥٢، وانقلابات متكررة في سوريا بدلت رئيس الجمهورية خمس مرات بحلول ١٩٥٤، واغتيال الملك الأردني عبد الله في تموز ١٩٥١ واعتلاء حفيده حسين العرش في ١٩٥٣، الذي سمح بالنشاط السياسي ولكن ليعزل الحكومة الوطنية بزعامة النابلسي عام ١٩٥٧. وقد أغتيل رئيس الحكومة اللبنانية الصلح عام ١٩٥١ وأجبر الرئيس الخوري على الاستقالة في أيلول/١٩٥٢.

من جهة أخرى حظي الشعب الفلسطيني بالتعاطف من الشعوب العربية، إذ كانت القضية الفلسطينية بحق هي القضية القومية الأولى، بل تعاظمت كراهية العرب للصهاينة المغتصبين.

كان للسياسة وطأتها الثقيلة على فلسطين وأهل فلسطين الذين باتت أغلبيتهم مقتلعة من أوطانها ومشردة في مخيمات اللجوء، بما جعل من العناصر المثقفة وأبناء العائلات الوطنية والعناصر المبادرة في المخيمات تربة خصبة للرد المقبل.

فمن جهة، الجامعة العربية فاشلة والأنظمة التقليدية عاجزة والصهيونية توطد أقدامها، ودول العالم تتسابق على الاعتراف بإسرائيل وفي المقدمة منها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي الذي كان وزير خارجيته غروميكو قد أعلن أثناء مناقشة قضية فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة (إن الاتحاد السوفييتي يفضل دولة ثنائية القومية أو دولة فدرالية للعرب واليهود، وقد يقبل بالتقسيم إذا أوجب الوضع).

أصبحت العناصر الفلسطينية الفعالة، سيما أن بعضها قد حاز على تعليم جامعي، أمام اختبار المبادرة. تتوج ذلك بتأسيس حركة القوميين العرب والانخراط في حزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي والأحزاب الإسلامية...

واستخلص الدكتور جورج حبش ما يلي:

(بسقوط فلسطين إنما سقطت الأنظمة التقليدية وبرامجها... وإن أحد الأسباب الرئيسة لفشل ثورات شعبنا هو طبيعة القيادة الطبقية الإقطاعية والبرجوازية)[١١٦].

واستطرد (إن معارك التحرر الوطني ضد الاستعمار هي في الوقت ذاته معارك طبقية ضد القوى الرجعية والرأسمالية المرتبطة بالاستعمار).

---

١١٦) د. حبش، جورج. خطاب في الذكرى العاشرة للجبهة الشعبية ١٩٧٧/١٢/١١. أوراق حمراء ص١١